بسم الله الرحمان الرحيم و الحمد لله رب العالمين و أفضل الصلاة و أتم التسليم على سيدنا محمد و آله و صحبه

محاضرات في مادة منهج القرآن في عرض العقيدة

تمهيد

يقوم منهج القرآن المعرفي على دعامتين أساسيتين :

أولاهما : دعامة نقدية سلبية ، قوامها التبصير بالعيوب التي تعترض عملية البحث عن اليقين لتلافيها وتحرير العقل منها، و تهيئة الإنسان تماما لتلقي المعارف الصحيحة .

أما ثانيتهما: فهي دعامة إيجابية إثباتية تزود الإنسان بقيم وآليات يستطيع بواسطتها أن يدرك الحقيقة.

1- الدعامة الأولى : الجانب النقدي

ويهدف إلى تطهير الإنسان من كل الموانع ، والحواجز التي تمنع وصول الحقيقة إليه ، وهي كثيرة نذكر منها: تحرير العقل من التقليد : لقد شن القرآن حملة عنيفة على التقليد ، والاكتفاء بما كان عليه السابقون من معتقدات وآراء ، ودعا إلى تأسيسها على النظر والتفكير بما حبانا به الله من عقول ، يقول الله تعالى:{**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ**} [1].

قال الزمخشري:" نزلت في طائفة دعاهم الرسول إلى الإسلام فقالوا: بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ؛ فإنهم كانوا خيرا منا وأعلم .فنعى عليهم ، وقال : أيتبعوهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب"[2].

وجاء في سورة المائدة قوله تعالى:{ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ وَ إِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ**}[3].

وفي سورة الزخرف نقرأ قوله تعالى:{ **بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَ إِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ**}[4].

---

[1] البقرة ، الآية : 170

[2] أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، ، بيروت : دار المعرفة ، ج1، ص 107

[3] المائدة ، الآية : 104

[4] الزخرف، الآيات : 21-23

قال العلامة ابن الجوزي :"في التقليد إبطال منفعة العقل، فقد خلق للتدبر والتأمل ، وقبيح بمن أعطي شمعة أن يطفئها ويمشي في الظلمة "[1].

2.1 : تحرير العقل من الهوى :

ذم القرآن الكريم الأهواء لأنها إذا تدخلت في حكمنا على الأشياء فستفسدها لا محالة، و ذلك لاختلاف الناس فيها و عدم اتفاقهم عليها، فحيث يكون الهوى ينتفي العلم والهدى وتحل الجهالة والضلالة ، قال تعالى:{ **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**}[2].

يقول الزمخشري معلقا على الآية :"و لا تتبع هوى النفس فيكون سببا لضلالك عن سبيل الله، عن دلائله التي نصبها في العقول ، و عن شرائعه التي شرعها و أوصى بها"[3].

و قد تكررت الآيات في الكتاب العزيز التي تنه و تحذر من اتباع الأهواء قال تعالى:{ **بَلْ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ**}[4] .{ **وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ** }[5]، { **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ**}[6].

وذم الهوى يعتبر خطوة ضرورية لا غنى عنها لطالب الحق ، والعلم ؛ وذلك لأن الباحث يجب أن يستبعد كل ما يتعلق بذاته في مقابل تحقيق ما يسمى حديثا باسم " الموضوعية" التي تجعل من إدراك الحقيقة العلمية أشمل و أوسع لدى أكثر من شخص أو باحث واحد بنفس الطريقة مهما اختلفت زاوية الإدراك بالنسبة لكل منهم"[7].

ويندرج تحت حكم الهوى التشيع للآراء، والتعصب للمذاهب ، أو ما يعرف في المصطلح المعاصر بالأحزاب ، ويعد ابن خلدون أول من نبه إلى خطورة هذا المرض حيث يقول في مقدمته:" ولما كان الكذب متطرقا للخبر بطبيعته وله أسباب تقتضيه ، فمنها: التشيعات للآراء والمذاهب فإن النفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تبين صدقه من كذبه ، وإذا خامرها تشيع لرأي أو

---

[1] نقلا عن : يوسف القرضاوي، **العقل و العلم في القرآن الكريم** ، ط1،القاهرة : مكتبة وهبة 1996 ص

[2] ص، الآية : 26

[3] الزمخشري، الكشاف، ج: 3،ص:326

[4] الروم، الآية : 29

[5] الأنعام ، الآية : 119

[6] القصص، الآية : 50

[7] فاطمة إسماعيل، **القرآن والنظر العقلي**، ط1. فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي عام 1993، ص :109

نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار من أول وهلة ، وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاء والتمحيص فتقع في قبول الكذب ونقله"[1].

3.1. تحرير العقل من الظن:

دعا القرآن الكريم إلى اجتناب الظن في القضايا الكبرى كما في مقام تأسيس العقائد خلافا لقضايا الفروع ، واعتبر أكثر الضلال ناتج عنه ، قال تعالى:{ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**} [2].

يقول الزمخشري :"و إن تطع أكثر من في الأرض من الناس أضلوك ؛ لأن الأكثر في غالب الأمر يتبعون هواهم (إن يتبعون إلا الظن) وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم"[3].

و على أساس الظن بنى المشركون موقفهم من اليوم الآخر ، يقول الله تعالى:{ **وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ**}[4].

واتباع الظن هو السبب ذاته في قول اليهود: (إنا قتلنا المسيح) و كانوا بذلك سببا في نشر خبر كاذب غلطوا به ملايين البشر. قال تعالى:{ **وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى بنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّااتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا** }[5].

واتباع الظن هو طريق أيضا لإنكار وجود الله والبعث ، وقد سجل القرآن الكريم قول الدهريين فقال:{ **وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**}[6].

وهكذا حينما يعطل الإنسان وسائل الإدراك التي حباه الله بها و يتبع الظنون فإنها تؤدي به إلى الهلاك المحقق ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إياكم و الظن فإن الظن أكذب الحديث".

---

[1] ابن خلدون، **المقدمة**، تحقيق عبد الواحد وافي ، ط2 . بيروت: لجنة البيان العربي 1965 ، ص 30

[2] الأنعام، الآية :116

[3] الزمخشري، الكشاف ، ص 36

[4] الجاثية،الآية:32.

[5] النساء، الآية 157

[6] الجاثية، الآية 23

4.1. تحرير العقل من الجهل:

يقرر القرآن الكريم أن الجهل آفة خطيرة تمنع المتصف بها من الوصول إلى الحق و المعرفة الصحيحة، وخاصة إذا تعلق الأمر بالحقائق الكبرى كالإيمان بالله ومعرفته ، قال تعالى:{ **وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**}[1].

لقد دلت الآية على أن طلبهم بأن يكلمهم الله طلب إنسان جاهل بحقيقة الألوهية ، ونحفظ من تراثنا كلمة نفيسة تعبر عن هذا الموقف بوضوح وهي قولهم:" الناس أعداء ما جهلوا" ، ولعل هذه الحكمة مطابقة تماما للآية الكريمة:{ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**}[2] يقول الزمخشري معلقا هذه على الآية:(بل كذبوا) بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن وفاجئوه في بديهة السماع قبل أن يفقهوه ويعلموا عنه أمره وقبل أن يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه ، وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرودهم عن مفارقة دين آبائهم"[3].

فلو تأملوه ونظروا إلى ما فيه من دلائل وبراهين لأدركوا صدق النبي وأنه من عند الله واهتدوا بهدايته.

5.1. تحرير النفس من الكبر:

من أخطر الحجب التي تمنع نور المعرفة عن الإنسان وتبقيه في ظلمة الجهل الكبر والاستعلاء ، فحين يرى الإنسان نفسه فوق الناس جميعا وينفخ فيه شيطانه داء التعاظم فإن كل منافذ الهدى تغلق في وجهه.

قال الله تعالى:{ **سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا .** }[4]

---

[1] البقرة، الآية، 117.

[2] يونس، الآيتان: 38، 39

[3] الزمخشري، الكشاف: ج 2، ص191

[4] الأعراف، الآية :146.

يقول سيد قطب معلقا على الآية:" إنه سيصرفهم عن آياته فلا ينتفعون بها ، ولا يستجيبون لها...آياته في كتاب الكون المنظور، وآياته في كتبه المنزلة على رسله...فالكبرياء صفة الله وحده لا يقبل فيها شريكا"[1].

و في آية أخرى يبين القرآن الكريم أن سبب الجحود والكفران إنما هو الاستعلاء والاستكبار:{ **وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ**}[2]. فما حرمهم نور الاهتداء ونزول منازل المؤمنين إلا استكبارهم.

وفي موضع آخر يعري القرآن الكريم النفس المنتفخة بهوى الكبر والتي يصدها شعورها بالعلو عن الهدى والإيمان فيقول:{ **قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ**}[3].

ويتتبع القرآن مفاسد الاستكبار ويبين ضرره البالغ لعل الإنسان يتعظ، قال تعالى:{ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ**}[4].

منعهم الكبر نوال الهداية ومنعهم بركات دعاء الرسول واستغفاره يالقبح ما اتصفوا به**!** ويا كرمانهم**!** وحرمان كل متكبر.

6.1. تحرير الإنسان من الغفلة :

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن ، ط3،القاهرة، دار الشروق 1977. ج:3،ص:1371.

[2] الجاثية ، الآية 32

[3] الأعراف ، الآية :75

[4] المنافقون، الآية:05

يمكن اعتبار الغفلة من أخطر العوائق التي تمنع العقل من ممارسة وظيفته وبالتالي يفقد الإنسان أخص منحة إلهية كريمة ، ويفوته بذلك نور التبصر بل وينزل إلى درجة البهائم أو أدنى ، قال الله تعالى:{ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ**}[1].

فعندما يعطل المرء وسائل المعرفة التي حباه الله تعالى بهاو يحبس نفسه في سجن الغفلة ، يمتنع عنه العلم النافع و الرؤية الصحيحة فيهوي بذلك إلى درك الحيوانية ويخط لنفسه طريقا إلى النار.

ولقد صور القرآن المجيد مشهد هلاك فرعون غرقا وإخراج جثته لتكون آية ملموسة نابضة بالحياة مميطة حجاب الغفلة عن القلوب قال جل شأنه:{ **وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنْ الْمُسْلِمِينَ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنْ الْمُفْسِدِينَ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ**}[2].

قال الزمخشري:(لمن خلفك آية) لمن وراءك من الناس علامة ... وقيل لمن خلفك لمن يأتي بعدك من القرون. ومعنى كونه آية أن يظهر للناس عبوديته ومهانته وأن كل ما كان يدعيه من الربوبية باطل محال.. ولتكون عبرة تعتبر بها الأمم بعدك فلا يجترئوا على نحو ما اجترأت عليه إذا سمعوا بحالك "[3].

وفي موطن آخر يقول الحق تعالى:{ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ** }[4] إن هذه الآية الآيات اعتبرت الانغماس في الحياة الدنيا والتشاغل بها عن السير في طريق الآخرة يفضي إلى امتناع العقول والحواس عن رؤية سواها فيبعد الإنسان عن هدف خلقه فيخسر خسرانا مبينا.

---

[1] الأعراف، الآية:179

[2] يونس، الآيات : 90-91

[3] الزمخشري، الكشاف، ج : 2، ص : 202.

[4] النحل الآيتان : 105- 107

ولقد حذر الله تعالى عباده من الاحتجاج لديه يوم القيامة بالغفلة فهي حجة مردودة . قال الله تعالى:{ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**}[1].

ويرشد القرآن صراحة إلى طرد الغفلة من جنبات النفس ويزود بالوسيلة وهي ذكر الله

و التفكر في ملكوته.قال الله تعالى:{ **وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنْ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنْ الْغَافِلِينَ**}[2].

ويصور القرآن الكريم مشهدا مرعبا من مشاهد القيامة أبطاله أناس لم يتطهروا من غفلاتهم فانقضت أيامهم في اللهو و اللعب والشهوات ونسوا مقامهم بين يدي خالقهم ، قال الله تعالى:{ **وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَاوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ**}[3].

7.1. تحرير الإنسان من سجن الحس :

لا يجدر بالعاقل الذي أعطاه الله مدارك متعددة ، ومنافذ متنوعة أن يغلقها جميعا ويبقى مدخلا واحدا، ولا يرى من الحقائق إلا ظواهرها، وقد عاب القرآن الكريم على من قصر للإيمان برهانا حسيا، فقال جل شأنه:{ **وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً** }[4] . { **وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنْ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُه قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا**}[5]

---

[1] الأعراف، الآية ،172

[2] الأعراف، الآية : 205.

[3] الأنبياء، الآيتان: 96-97

[4] البقرة، الآية : 55.

[5] الإسراء الآيات : 90-93

{ **وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرً**}[1].

فهؤلاء جميعا طلبوا أدلة مادية ملموسة تراها العيون ، وكان الأولى بهم إعمال عقولهم فيتفكروا في أنفسهم وما حولهم من مخلوقات ، من أوجدهم ؟ ومن أبدع هذا النظام و التناسق بين الموجودات ؟ ومن أين هذه الحياة التي بثت في الكائنات ؟ ومن أين هذا الجمال البديع في المناظر المختلفة والأصوات المتنوعة والروائع المتعددة فلا يجدر بالعاقل أن يحرم نفسه نعمة النظر والاعتبار ويكون كمن قال الله فيهم:"يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا و هم عن الآخرة هم غافلون"[2].

8.1. تحرير الإنسان من الإلف و العادة:

حينما يسمع الإنسان شيئا جديدا أو يرى مشهدا لأول مرة فإن كل حواسه تكون متفتحة متنبهة تريد التعرف على تفصيلات الشيء الجديد، ولكنه حين يألف المشهد وتتكرر رؤيته له، فإن حواسه تمر عليه بغير انتباه، وكذلك يفعل الإنسان مع ربه فلا يلتفت إلى شيء من آياته المبثوثة في كل مكان من هذا العالم. يقول ابن القيم: "ودين العوائد هو الغالب على أكثر الناس ، والانتقال عنه كالانتقال عن الطبيعة إلى الطبيعة الثانية"[3].

2. الدعامة الثانية : الجانب الإثباتي

ويتضمن تزويد الإنسان بجملة من القيم والوسائل، إن أحسن استخدامها أمكنه الحصول على المعرفة الصحيحة وإدراك الحقيقة ، ويشمل جملة من النقاط نذكر أهمها :

1.2.الدعوة إلى القراءة والتعلم: لقد كانت الدعوة إلى المعرفة أول تكليف للنبي صلى الله عليه وسلم { **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ**}[4]. وطلب القرآن التعلم وحث عليه بصيغة الأمر قبل الإيمان ، لأنه حين يؤسس على البحث والنظر يكون راسخا بعيدا عن الشك والاضطراب ، أما حينما يبنى على غير هذا الأساس فسرعان ما ينجرف أمام عاتيات الشبهات ، قال الله تعالى:{ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه** }[5] .

---

[1] الفرقان : الآية 31

[2] الروم، الآية : 6

[3] نقلا عن : يوسف القرضاوي، العقل و العلم في القرآن الكريم.

[4] العلق، الآيات : 1 . 3

[5] محمد الآية : 19

إن في الآية أمرا جازما صريحا أن تكون معرفتنا بوحدانية الله تعالى مبنية على قواعد النظر والبحث في كل ما حولنا، وليس مجرد النطق بها لورود الخبر.

إنه يطلب أن يكون التصديق منبعثا من داخل ذواتنا بعدما يسري فيها نور البرهان والدليل ، حتى يكون راسخا متينا يقدر على حمل بنيان التكاليف الشامخ ، قال الله تعالى:{ **وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ** }[1]

واعتبار الخشية أعلى ثمار المعرفة إنما تكون من العلماء ، قال الله تعالى:{ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**}[2].

يقول الدكتور يوسف القرضاوي:" من قرأ القرآن الكريم وجد مادة "ع ل م" تشيع في سوره المكية والمدنية على السواء بكل مشتقاتها، اسما و فعلا ومصدرا مئات المرات ؛ ففعل (تعلمون) في خطاب الجمع تكرر 56 مرة بالإضافة إلى ثلاثة مرات بصيغة (فستعلمون)، وتسع مرات بصيغة (تعلموا) و 85 مرة بصيغة (يعلمون) و 7 مرات بصيغة (يعلم) و نحو 74 مرة تكرر فعل (علم) وما يشتق منه وما يتعلق به"[3].

وحديث القرآن عن العلم وأسبابه و فضله و ثمرته أوسع من أن يستقصى في هذا البحث

2.2. التجرد في البحث

يقرر القرآن الكريم أن الوصول إلى الحق هو الهدف الرئيسي الذي يجب أن يسعى إليه الإنسان، فالتمييز بين الحق و الباطل هي الفكرة المركزية المبتغاة في كل ما يطرح موضوعا للبحث.

وقد طلب الله تعالى ذلك من رسله وهم خير خلقه فقال:{ **يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**}[4].

ويعيب على بني إسرائيل تحريفهم وتبديلهم فيقول:{ **وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**}[5].{ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ**}[1].

---

[1] الحج، الآية : 54

[2] فاطر ، الآية: 28

[3] يوسف القرضاوي، العقل و العلم في القرآن الكريم، ص 71.

[4] ص، الآية : 25.

[5] البقرة، الآية 42.

فالمطلوب من كل باحث ودارس أن يجعل هدفه الوصول إلى الحق ، ولا يركن إلى مذهبه أو حزبه أو رأيه ، ونتيجة لهذه التربية القرآنية وجدنا أحد أئمة المسلمين يقول:" لا تعرف الحق بالرجال بل أعرف تعرف أهله"[2]. ويقول ابن حزم:" إني لا أبالي فيما اعتقدته حقا بمخالفة من خالفته ولو أنهم جميع من على ظهر الأرض"[3].

3.2. الاعتماد على الحجة في قبول القضايا أو ردها :

إن أهم الأسباب المؤدية إلى الحقيقة وبيان فساد كل باطل هو الحجة والبرهان ؛ لذلك كان شعار القرآن فيما يتصل بأي وجهة نظر يثيرها إنسان: (قل هاتوا برهانكم) ، قال الله تعالى:{ **أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِي وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ**}[4].

ولقد طلب الله تعالى ممن ادعوا آلهة مع الله الحجة والبرهان لإثبات صدق دعواهم فقال :

{ **أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**}[5]. ورد زعم أهل الكتاب بأن الجنة حكرا لهم فقال:{ **وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِين**}[6].

ومن وحي هذا المبدأ حفظنا في مأثوراتنا الإسلامية : **"إن كنت ناقلا فالصحة أو مدعيا فالدليل"**.

4.2. الدعوة إلى استعمال كل المدارك: أنعم الله تعالى على الإنسان بمدارك متعددة وطلب منه الانتفاع بها في تحصيل المعارف وحذره من إهمالها وطلب منه القيام بواجب شكرها قال تعالى:{ **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**}[7].

---

[1] النساء، الآية 171.

[2] تنسب هذه المقولة إلى الإمام علي رضي الله عنه، انظر : أبا حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، تح : جميل صليبا مع كامل عياد، طبعة بيروت، دار الأندلس، 1996، ص 111.

[3] نقلا عن : أنور خالد الزعبي، **ظاهرية ابن حزم الأندلسي**، عمان : دار البشير، 1996، ص 41

[4] الأنبياء، الآية : 24

[5] النمل، الآية : 64.

[6] البقرة، الآية، 110

[7] النحل، الآية : 78.

وقال جل شأنه:{ **وَهُوَ الذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ**}[1].

إن استغلال هذه المدارك يثمر معرفة الإنسان بالكون المحيط به فيكتشف أسرار الكائنات ودقة صنعها والقوانين التي تسير عليها والوظائف التي تؤديها دون كلل ولا ملل، فتثمر تلك المعرفة إيمانا صادقا بالخالق ورؤية لآثار أفعاله في خلقه.

ولقد عاب القرآن الكريم وأدان من حبسوا مداركهم فلم يلحظوا دقة العالم من حولهم وحسن صنعه ولم يعتبروا ويستدلوا به على خالقه ، قال جل شأنه:{ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ**} [2] .

يعلق الزمخشري على الآية فيقول:" إنهم لا يلقون أذهانهم إلى معرفة الحق ولا ينظرون بأعينهم إلى ما خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون إلى ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر كأنهم عدموا فهم القلوب وإبصار العيون واستماع الآذان"[3].

ونجد في مواطن أخرى من الكتاب العزيز الدعوة إلى الانتفاع بما أعطانا الله من وسائل تأخذ شكل المسؤولية التي يدان المرء على تفريط فيها ، قال الله تعالى:{ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا** }[4].

فالمطلوب من العباد استخدام كل الحواس التي أعطاهم الله ، والعقول والقلوب للاهتداء بها إلى الخالق جل وعلا.

5.2 .الدعاء و الاضطرار :

جاء في الحديث القدسي:" يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم"[5].
وجاء في القرآن الكريم عدد من الآيات التي تفيد أن الله سبحانه هو الذي يمنح العلم و الهداية، لذلك علم عباده أن يقولوا في كل صلواتهم{ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**} [6].{ **قُلْ إِنَّ**

---

[1] المؤمنون، الآية : 79.

[2] الأعراف ، الآية 179 .

[3] الزمخشري، الكشاف، ج :2، ص 105.

[4] الإسراء، الآية : 36.

[5] رواه مسلم.

[6] الفاتحة، الآية : 5.

هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى }[1].{ **وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**}[2].

لذلك فعلى طالب الحق أن يستعين بالله ويطلب الهداية منه فإذا رأى الله تعالى صدقا في طلبه أجابه. ويقول الرسول صلى الله عليه و سلم:"و الله لو لا الله ما اهتدينا"[3]، وكان من أدعيته صلى الله عليه و سلم : "اللهم إني أسألك الهدى و العفاف و الغنى..."وأيضا"اللهم اهدنا فيمن هديت و عافنا فيمن عافيت و تولنا فيمن توليت..." "اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"

إن هذه النصوص وغيرها تبين الشعور الافتقاري الذي يحس به الإنسان عند الخوف من الزلل أو عند الشك والاضطراب والحيرة ، وتبين التجاء الإنسان إلى ربه ، فهو لا يفزع عند ذلك ولا يلجأ إلى شيء من المخلوقات الضعيفة مثله، وهذا شأن الإنسان عند كل المخاطر و المعضلات[4].

2.6.الدعوة إلى التفكر والاعتبار:

نقرأ في القرآن الكريم عشرات الآيات التي تدعو إلى التفكر، دعوة قوية بشتى الأساليب و في كل المجالات عدا التفكر في ذات الله، فإنه تبديد لطاقة العقل فيما لا يمكنه إدراكه ، أما ما سوى ذلك فميدان رحب لفكر الإنسان ، قال تعالى:{ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**}[5].

وبين المولى تبارك وتعالى أن الفكر لا يقتصر على الجوانب المادية ، بل يتجاوزها إلى الجوانب المعنوية فقال:{ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**}[6].

---

[1] البقرة، الآية : 120.

[2] سبأ، الآية : 50.

[3] رواه البخاري.

[4] انظر سامي نصر لطف، **نماذج من الحكمة الدينية للمسلمين**، ط 1. القاهرة : مكتبة سعيد رأفت 1978، ص 58.

[5] آل عمران، الآية : 190.

[6] الروم، الآية : 21.

وكما في قوله سبحانه متحدثا عن آياته في نوم الإنسان:{ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**}[1].

كما دعا الحق جل جلاله إلى التفكر في آيات الكتاب العزيز ، قال تعالى:{ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**}[2]، وقوله تعالى: { **وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**}[3].

يقول الدكتور يوسف القرضاوي:"و من أروع الآيات التي حثت على التفكر قوله تعالى:{ **قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**[4]} [5]. ثم يبين الدكتور القرضاوي أهمية التفكر فيقول : "إن الله تعالى كما أمرنا بالتعبد وإقامة الشعائر من الصلاة والزكاة أمرنا بالتفكر و التفكير في آيات كثيرة سواء جاءت باسم التفكر أو النظر أوالرؤية ، ولهذا قال من قال من السلف:" تفكر ليلة خير من إحيائها" وقال غيره:"تفكر ساعة خير من عبادة سنة"[6].

أما الاعتبار فهو مشتق من الفعل "عبر" ، يقال في اللغة: عبر النهر بمعنى قطعه من شاطئ إلى شاطئ ، وانتقل به إلى المعاني ، فيقال: اعتبر بالشيء إذا اتعظ به[7]، وهذا ما تحدثت عنه آيات عديدة معتبرة ذلك ثمرة النظر والتبصر.

"وأما الاعتبار كمصطلح فني فيراد به طريقة خاصة من البحث والتأمل والاستبطان ، أو الذي لا ينكر الجانب النفسي"[8].

وقد استخدم هذا المنهج من طرف عدد من العلماء كأبي عمرو الجاحظ في كتابه دلائل الاعتبار، الذي يتحدث فيه عن مخلوقات وظواهر من جهة دلالتها على الخالق الحكيم.

---

[1] الزمر، الآية : 42.

[2] النحل، الآية : 44.

[3] الحشر، الآية : 21.

[4] سبأ، الآية : 46.

[5] يوسف القرضاوي، **العقل والعلم في القرآن الكريم** ، ص 39.

[6] المرجع نفسه، ص : 41.

[7] ابراهيم أنيس وآخرون، **المعجم الوسيط**، ط1. القاهرة. دار المعارف 1973، ج : 2، ص : 580.

[8] محمد كمال ابراهيم جعفر، **في الفلسفة دراسة و نصوص**، ط1. القاهرة : مكتبة دا ر العلوم1976، ص234 .

ويلاحظ أن هذا المنهج أصبح واسع الانتشار والاستعمال منذ القرن الثالث الهجري ؛ ليدل دلالة واضحة على طريقة متميزة للتفكير المدعم بالوجدان ، وهذه الطريقة تدعي قدرتها على وضع حد للتقليد الأعمى، بل إنها إلى جانب ذلك تشير إلى مد الاتجاه إلى الماورائيات كإثبات وجود الله ، ونجد ذلك ممثلا في كثير من الآيات كقوله تعالى:{ **وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ**}[1].

وكما في قوله جل شانه:{ **أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ**}[2].

و في ختام سورة يوسف وبعد الحديث الطويل عن حياته وأحداثها يرشدنا المولى سبحانه إلى الاعتبار من أحداث التاريخ و الاستفادة منها فيقول:{ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ**}[3].

كانت تلك دعوة القرآن الملحة إلى التفكر والنظر في الآفاق والأنفس وفي آيات الكتاب العزيز و في أحداث التاريخ ، ولم يكتف القرآن بهذا فقط، بل وضع للعقل طرقا يستدل بها من خلال المصادر السابقة ، وسنورد أهمها.

1.6.2- صور الاستدلال في القرآن:

أولا ـ الأقيسة العقلية:

استخدم القرآن الكريم في عدد من آياته أسلوب القياس للبرهنة على عدد من القضايا، كنفي الشريك عن الخالق سبحانه ، وإثبات البعث بعد الموت ، وفي ما يلي بعض صورة :

1.القياس الاقتراني :

ويعرفه الغزالي بقوله:" هو مركب من مقدمتين مثل قولنا:" كل جسم مؤلف ، وكل مؤلف محدث" ، فيلزم منه أن كل جسم محدث ؛ فهذا القياس مركب من مقدمتين ، وكل مقدمة تشتمل على موضوع ومحمول"[4].

---

[1] النحل، الآيتان : 65-66

[2] النور، الآية : 43.

[3] يوسف ، الآية : 111

[4] أبو حامد الغزالي، **معيار العلم**،ط4، بيروت : دار الأندلس، 1983، ص98.

وقد جاء في القرآن الكريم آيات تضمنت هذا النوع من القياس ، من ذلك قوله تعالى:{ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**}[1]. فهذه عشر مقدمات أنتجت خمس نتائج.[2]

وكذلك قوله تعالى:{ **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ**}[3] ، هذه الآية بها مقدمتان ونتيجة: اتباع الهوى يوجب الضلال ، والضلال يوجب سوء العذاب ؛ فأنتج: اتباع الهوى يوجب سوء العذاب [4].

2.1.القياس الاستثنائي :

وهذا النوع يختلف عن سابقه في أن أحد الأمرين النتيجة أو نقيضها يكون مصرحا به في المقدمات[5]. من أمثلته: قوله تعالى:{ **وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**}[6]. لكنهم لم ينفضوا من حوله فانتفى عليه صلى الله عليه و سلم أن يكون فضا غليظ القلب.

و من أمثلته أيضا قوله تعالى:{ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا** }[7]

لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا (كبرى).

أي لكنهما فسدتا (صغرى).

فليس فيهما آلهة إلا الله (نتيجة)

3.1. القياس الإضماري:

---

[1] الحج، الأيات 5-7.

[2] انظر : السيد رزق الحجر، مسائل العقيدة ودلائلها، طبعة دار الثقافة، القاهرة ، 1990، ص75.

[3] ص، الآية : 25.

[4] انظر : عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة، ط3، دار القلم، دمشق، ص288.

[5] السيد رزق الحجر، مسائل العقيدة، ص76.معيار العلم، ص111.

[6] آل عمران، الآية : 159.

[7] الأنبياء، الآية : 22.

وهو قياس تحذف فيه إحدى المقدمات ، الكبرى منه أو الصغرى لظهورها ، ودلالة المقام على حذفها.

والكثير من براهين القرآن تجري على هذه الطريقة ؛ لما تدل عليه من فصاحة وقوة بيان ، والقرآن مبناه على الحذف والإيجاز[1].

ومن أمثلته في القرآن قوله تعالى:{ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنْ الْمُمْتَرِينَ**}[2].

فهذه الآية لم تشتمل سوى مقدمة واحدة هي إثبات مماثلة آدم لعيسى ، وكان الدليل هكذا:

إن آدم من غير أب كعيسى

فلو كان عيسى ابنا لله بسبب ذلك لكان آدم أولى

ولكن آدم ليس ابنا لله باعترافكم ، فعيسى ليس ابنا لله أيضا.

4.1.قياس الخلف :

وهو إثبات الأمر ببطلان نقيضه كإثبات الصدق ببطلان الكذب ، وإثبات الوجود ببطلان العدم وسمي هذا القياس بقياس الخلف ؛ لأنه يستلزم الرجوع من النتيجة إلى الخلف لأخذ المطلوب من المقدمة المتروكة وهي مقدمة الخصم الكاذبة وذلك بالبرهنة على صدق نقيضها[3] ، ويسمى هذا الدليل عند المتكلمين بدليل التمانع. ومن أمثلته قوله تعالى:{ **اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ**}[4] .

وقوله تعالى:{ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** }[5]

وقوله تعالى:{ **قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً** }[6].

ففي كل هذه الآيات استدل على المطلوب بإثبات كذب نقيضه.

---

[1] رزق الحجر، مسائل العقيدة و دلالتها، ص : 76-77.

[2] آل عمران ، آية: 59 -60

[3] محمد التومي، الجدل في القرآن. ص250 (مربع سابق) و انظر معيار العلم، ص 114، 115.

[4] المؤمنون، الآية : ص 91.

[5] النساء، الآية : 82.

[6] الإسراء، الإية : 42.

فالمطلوب في الآية الأولى إثبات الوحدانية ، ونقيضه التعدد الذي يوجب التفرق وذهاب كل واحد منهما بخلقه ، وعلو بعضهم على بعض فتسود الفوضى ويختل النظام ، فما انتفى ذلك انتفى التعدد.

وفي الآية الثانية المراد إثبات كون القرآن من عند الله ، ونقيضه كونه من كلام البشر الموجب للاختلاف والاضطراب فلما انتفى الاختلاف انتفى كونه من كلام البشر.

وفي الآية الثالثة المطلوب إثبات الوحدانية ونقيضه التعدد الذي يوجب التنازع وامتناع الاتفاق ، فلما انتفى التنازع امتنع التعدد.

والخلاصة: أن القرآن قد استعمل قياس الخلف في عدد من الآيات قصد إثبات المطلوب بإبطال نقيضه.

5.1. قياس التمثيل:

وهو أن يقيس المستدل الأمر الذي يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه ، أو على أمر بدهي لا تنكره العقول وتقر به الإفهام ، ويبين الجهة الجامعة بينهما ، وإن القرآن قد سلك هذا المسلك على أدق وجه وأحكمه[1] ، ويسميه المتكلمون قياس الغائب على الشاهد ، ومن أمثلته في القرآن : "فسيقولون من يعيدنا، قل الذي فطركم أول مرة" ؛ أي: أن الذي فطركم أول مرة هو الذي يعيدكم.

ونلاحظ هنا أن الآية أبانت مجهولا اعتمادا على معلوم.

فالخلق الأول معلوم بمقتضى الواقع الذي لا ينكره العاقل.

والخلق الثاني غائب

فأبانت أن الغائب يقع كما وقع الشاهد

ومن قدر على البدء كان على الإعادة أقدر

و منه أيضا قوله تعالى:{ **كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ**}[2] ، وقال:{ **كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ**}[3] ، وقوله :{ **أَفَعِيينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ**}[4].

يقول الزمخشري : "كما أنشأكم ابتداء يعيدكم، احتج عليهم في إنكارهم الإعادة بابتداء الخلق"[1].

---

[1] محمد أبو زهرة، المعجزةالكبرى، ص 380. و انظر أيضا : أبا حامد الغزالي، معيار العلم، ص :119.

[2] الأعراف الآية : 29..

[3] الأنبياء، الآية :104.

[4] ق، الآية : 15.

و منه أيضا قوله تعالى:{**يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ**}[2].

ففي الآية قياس تمثيل ؛ لأنه قاس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر و هي عملية محسوسة لا ينكرها إلا جاحد.

2. المقابلة والمقارنة:

يقول الإمام محمد أبو زهرة:"إن المقابلة بين شيئين أو أمرين أو شخصين تكون ليعرف أيهما المؤثر في عمل معين ، وإذا ثبت أن التأثير لواحد منهما كان له فضل التقدم على غيره ، وقد كان ذلك النوع من ينابيع الاستدلال كثيرا في القرآن الكريم ، لأن المشركين كانوا يعبدون أحجارا يصنعونها أو مخلوقات لله خلقها وكانوا يعتقدون لها التأثير في الإيجاد أو في منع الشر أو جلب الخير. فكانت المقابلة بين الذات العلية وبين ما ابتدعوا من عبادة الأوثان ينبوعا للاستدلال على بطلان ما زعموا"[3].

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:{ **أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**}[4]. فهذه مقارنة بين إله حق و إله مدعى لا يخلق بل هو مخلوق ، فكيف يسوى بين من له القدرة على الخلق ومن لا يخلق ، والعرب أنفسهم يقرون بأن الله وحده هو خالق السماوات والأرض: {**ولَئَنِ ْسَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ**}[5].

وهم يعلمون يقينا أن آلهتهم صنعت بأيديهم ؛ فالقرآن الكريم من هذه المقابلة يأتي بدليل يلزمهم ويقنعهم ، { **قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**}[6]. ففي هذه الآية مقابلة بين:

1- من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، ومن هو القهار القادر على كل شيء ، والواحد الأحد الذي لا يشبهه أحد ، وكأن المقابلة بين الأعمى و البصير من يدركها.

2- وبين الظلمة التي لا تعتم النفس ، والنور الذي يشرق به القلب.

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج : 2 ص :60.

[2] الروم الآية : 19.

[3] محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، ص : 354.

[4] اللنحل، الآية : 17.

[5] لقمان، الآية :25.

[6] الرعد، الآيتان : 17-18.

3- وبين من يخلق ومن لا يخلق

فهذه المقابلات تصلح دليلا مثبتا في عدة دعاوي ، ويكون فيها الحكم الفاصل الهادي المرشد.

ففي الدعوة الأولى ادعاء المساواة بين من يملك كل شيء ومن لا يملك لنفسه النفع والضر.

والحكم الذي ينتجه الدليل أنهما ليسا متساويين ، وإذا كانت دعوى المساواة في الألوهية باطلة، فالحكم بالنفي ، والإله هو الله وحده الذي يملك كل شيء.

و في الدعوة الثانية نفي التسوية بين من أدرك الحق و اهتدى ، ومن ضل وغوى ، والأخير كالأعمى والأول كالبصير ، فأيهما يهتدي إلى الطريق السوي ، ولا شك أن الحكم أن الخير في المبصر المهتدي.

وفي الدعوة الثالثة إدعاء الاشتراك في الخلق والتكوين بالزعم لا بالحقيقة ، وهذه باطلة بل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار[1] والواقع يثبت ذلك وهم أنفسهم يقرون بذلك{ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ**}[2].

3-الاستدلال العلي:

ويكون بالنظر و التأمل في المخلوقات المنتشرة في هذا العالم من جهة حدوثها ومن جهة اتساقها، وذلك للوصول من خلالها إلى معرفة علة وجودها وذلك هو الله تعالى.

وصورة هذا الدليل الانتقال من ملاحظة الأثر إلى استنتاج وجود مؤثر أو من المعلوم إلى العلة[3].

والمتأمل في القرآن العظيم يلحظ انتشارا واسعا لهذه الطريقة من الاستدلال، ذلك لأنها أقرب إلى عقل الإنسان ، بل هي مغروسة فيه خلقة ، وتشهد بها التجربة اليومية في كل ما حولنا.

و من أمثلة ذلك قول الحق تبارك وتعالى:{ **أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ وَنَزَّلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ**

---

[1] لقمان، الآية : 25.

[2] انظر محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، ص : 355.

[3] محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، ص 352 و عبد المجيد النجار، الإيمان باله و أثره في الحياة، ط 1. بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1997، سص 61.

جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ}[1].

وقوله:{ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ**}[2]. إن المخلوقات المختلفة قد هيئت من قبل الخالق الحكيم. بحيث يبرز فيها مظهر المعلولية ظاهرا لعيان الناس وعقولهم وهي بذلك كأنما تدعو تلك العقول والعيون تشهد بوجود موجودها وهو الله تعالى[3].

4- الاستدلال بالترجيح:

" وهو أن يتأمل العقل في الموجودات من حيث هي موجودات ممكنة ؛ أي أنها كان يمكن أن لا تكون ، أو تكون موجودات غيرها ، ويتأمل الأحداث من حيث إنها كان يمكن أن تحدث أحداث غيرها بديلا عنها ، ثم ينتقل من إدراك التساوي في إمكان وجود الموجودات وحدوث الأحداث وعدم وجودها ، والتساوي في إمكان وجودها وإمكان وجود بدائلها وذلك لإدراك أن وراء وجود الموجودات وحدوث الأحداث مرجحا رجح وجودها و حدوثها على العدم و على وجود بدائلها، فيكون العقل منتقلا من ملاحظة الترجيح الذي تكون به الموجودات والأحداث الواقعة إلى المرجح الذي رجح وجودها على عدمها وعدم بدائلها"[4].

ومن أمثلة ذلك في القرآن العظيم قوله تعالى:{ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**}[5].

وكذلك قوله تعالى:{ **أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً**}[6].

ففي الآيتين إبراز لترجيح صورتين من صور الواقع هما تحديد الليل والنهار بوقت معين ومد الظل بدوران الشمس ، على صورتين أخريين ممكنتين هما جعل الليل والنهار

---

[1] ق، الآيات : 6-11.

[2] يس ، الآيات :70-72.

[3] المرجع نفسه، ص : 61.

[4] لمرجع نفسه، ص : 63.

[5] القصص، الآيتان : 71.72.

[6] الفرقان، الإية : 45.

سرمدا وتوقيف الظل بتوقيف الشمس ، وذلك الإبراز إنما هو من أجل التدبر في الترجيح للوصول منه إلى المرجح ، وهو الله تعالى"[1].

5-الاستدلال بالعناية والقصد:

وهو أن يتدبر العقل في موجودات الكون من حيث علاقتها ومن حيث غاياتها وما بينها من توافق في تلك الغايات ، كما يلاحظ كيف أن المشاهد من المخلوقات تبدو فيه أن مصلحة الإنسان هي غايتها النهائية ومن ذلك يدرك أن هذه المقاصد التي تجري عليها الموجودات ، وهذا التوافق الذي ينتظمها إنما هو بفعل قاصد مريد هو الله تعالى[2].

ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى:{ **أَلَمْ نَجْعَلْ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا وَأَنزَلْنَا مِنْ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا .** }[3]

وكما في قوله عز وجل:{ **هُوَ الذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ**}[4].

واعتمادا على هذه الدلالة بنى ابن رشد أحد دليليه على وجود الله تعالى[5].

6. الاستدلال بالتحدي:

استدل القرآن على صدق النبي صلى الله عليه و سلم ، وعلى أن هذا القرآن من عند الله بأسلوب التحدي للمنكرين المعاندين، المكذبين إذ رد على مزاعمهم من أن النبي شاعر وكاذب ومفتر ، وأن هذا القرآن من عنده وليس من عند الله فتحداهم وأعجزهم:

أولا : تحداهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن، قال تعالى:{ **قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** }[6].

ثانيا : تحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله فقال جل شأنه:{ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**}[7].

---

[1] المرجع نفسه، ص : 63.

[2] المرجع نفسه، ص : 63.

[3] النبأ، الآيات : 6-16.

[4] البقرة، الآية : 29.

[5] انظر : ابن رشد، منهج الأدلة، ط 3. القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، 1969، ص 153.

[6] الإسراء، الآية : 88.

[7] هود، الآية : 13.

ثالثا : تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة من مثله.قال تعالى:{ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ** }[1].

وقوله تعالى: { **وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**}[2]. هكذا رد القرآن مزاعمهم وأعجزهم ، تحداهم لإثبات دعواهم وهم أرباب البيان والفصاحة ، ولم يتحداهم وحدهم بل الإنس و الجن مجتمعين متظاهرين ، تحداهم بقليل القرآن وكثيره، فقال لهم:" ادعوا من شئتم ليساعدكم على هذه المهمة".

ولقد حاولوا ولكن النتيجة كانت الفشل الذريع. ولا يزال القرآن يتحدى المنكرين والمعاندين وسيبقى كذلك إلى يوم الدين، قال تعالى: { **أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ**}[3].

ولابد أن نشير في الأخير إلى أن إعجاز القرآن دليل على صدق النبي وعلى إلهية مصدر القرآن ، ودليل لإثبات وجود الله وسائر صفاته.

7.الاستدلال بالقسم:

ورد في القرآن الكريم عدد من الآيات بأسلوب القسم ، قصد تأكيد القضايا المقسم عليها.

ولقد ذكر الله تعالى القسم لكمال الحجة وتأكيدها ، والحكم إنما يفصل إما بالشهادة وإما بالقسم ، وقد شهد الله على وحدانيته وأقسم عليها[4]، ومن الآيات التي ورد فيها القسم قوله تعالى: { **وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ** }[5].

فقد أقسم الله تعالى على وحدانيته وربوبيته للسماوات والأرض بشيء من مخلوقاته تأكيدا لهذا الأمر بعد تقديم الشواهد والأدلة.

ومنها قوله: { **وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ** }[6].

يقول سيد قطب: " قسم الله سبحانه بذاته بوصفه "رب السماء و الأرض" التين ورد ذكرهما في هذا المقطع على أن هذا القول الذي جاءهم من عنده حق يقين"[1].

---

[1] يونس، الآية : 38.

[2] البقرة، الآيتان : 22-23.

[3] الطور، الآيتان : 31-32.

[4] جلال الدين السيوطي، الاتقان، ج 2، ص : 169.

[5] الصافات، الآيات : 1-5.

[6] الذاريات الآيات : 20-23.

ومنها قوله تعالى: { **كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ** }[2].

وقوله تعالى: { **لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ** }[3]. لقد أقسم الله تعالى في الآيتين السابقتين من أجل إثبات قدرته المطلقة بإلفات النظر إلى عظمة مصنوعاته في حركة الكواكب التي تولد المشارق والمغارب وبأمر غيبي وهو يوم القيامة وبأمر معنوي وهو النفس اللوامة.

كما أن هناك آيات أخرى جاء فيها القسم بالمخلوقات لتنبه العقول إلى عظمتها وأهميتها وإتقان صنعها وملاءمتها للحياة لتدل على بارئها وصانعها وعلى قدرته وعلمه وإرادته سبحانه[4].

ويقول الشيخ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني: "فالمراد بالقسم إنما هو التنبيه على ما تضمنته من أدلة جليلة تهدي عن طريق لوازمها إلى التسليم بعظمة المقسم بها سبحانه"[5].

وترى الدكتورة عائشة عبد الرحمان رأيا آخر فتقول:"وسادت هذه الفكرة (فكرة أن القسم يحمل معنى التعظيم) فألجأتهم إلى اعتساف في بيان وجه التعظيم في كل ما أقسم به القرآن بالواو.

ونرى أن القسم خرج عن أصل الوضع اللغوي في القسم للتعظيم إلى معنى بياني ؛ فالواو في هذا الأسلوب تلفت لفتا قويا إلى حسيات مدركة ليست موضع غرابة أو جدل توطئة لبيان معنويات أو غيبيات لا تدرك بالحس"[6].

الاستدلال بالقصص:

ذكر القرآن الكريم عددا كبيرا من قصص الأولين ، قصص الأنبياء والصالحين ، وقصص الكفرة والمتمردين، وما فعل الله بهؤلاء وأولئك ، وقد

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن ،ط 3. القاهرة : دلر الشروق، 1977، ج 6، ص ،3377.

[2] المعرج الآيات : 39-41.

[3] القيامة ، الآيات : 1-6.

[4] السيوطي، الإتقان : ج :2.ص :/170.

[5] عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله،، ط:2، دمشق / :دار القلم، 1989، ص 472.

[6] عائشة عبد الرحمان، التفسير البياني للقرآن الكريم، ط 5 : القاهرة، دار المعارف 1977، ص 26.

تضمن هذا القصص جملة من الأفكار والقيم بل والأحاسيس والمشاعر ، ويتميز القصص القرآني بسهولة تغلغله في النفوس وتأثيره عليها وإحداث الاقتناع بمضامينه والاعتبار بنتائجه. يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله:" وقص القرآن الكريم علينا أهم أخبار الماضين ، وسواء كانت القصص مفردة أو مكررة ، فهي في السياق القرآني أداة تربية ، ومصدر توجيه ووعظ يدعم الفرد والجماعة قصص القرآن قطع من الحياة الماضية استرجعها الوحي الأعلى للتعليم والاعتبار"[1].

ويقول الإمام محمد أبو زهرة:" إنما قصص القرآن هو قصص لأمور واقعة يساق للعبر وإعطاء المثلات وبيان مكان الضالين ومنزلة المهتدين... فهو قصص للعبرة بين المواقعات لا لمجرد المتعة من الاستماع والقراءة ، ولذلك قال الله تعالى في آخر قصة يوسف عليه السلام. { **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** }[2].

ويقول:" إن القصص القرآني ذاته فيه إعجاز ذكره الكتاب جاء على لسان أمي لا يقرأ ولا يكتب. ويتساءل أي تال للقرآن: من أين جاء محمد بهذا القصص الحق وهو لم يشاهد وقائعه ولم يقرأها؟ إنه من عند الله العزيز الحكيم ، علام الغيوب ، وبذلك كان القصص الصادق من التحدي"[3].

---

[1] محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم، ط 3. دمشق : دار القلم، 2000، ص 100.

[2] يوسف، الآية :111

[3] محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، ص : 188.

7.2 - مخاطبة الوجدان:

إن الوجدان قوة من قوى الإنسان لا يختص برغبة معينة دون أخرى ، بل هو وعاء للشعور الذاتي من حيث هو ، وهذا الاعتبار يخاطبه الشارع ليكون ملتقيا بقوى الإنسان جميعها و فمن ثم لا يكون متصادما مع الإنسان بوجه تام.

والإسلام إذ يخاطبه ويتجه إليه ، فليس ذلك لأنه يحتكم إليه ، لأنه بهذا الاعتبار ليس من وظيفته الحكم ، ولكن وظيفته التلقي أو الرفض، الرضا... أو الكراهة ، فمن ثم كان اتجاه الإسلام إليه -كجزء من اتجاهه إلى الإنسان- إنما ليتمكن الدين من أبعاد النفس الإنسانية كلها[1].

ومن أمثلة توجه القرآن إلى هذا الجانب من الإنسان نقرأ:{ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ** }[2].

وفي سيرة سيدنا هود عليه السلام نقرأ قوله تعالى: { **وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** }[3].

ويقول لهم أيضا: { **أَوَ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ** }[4].

ونقرأ الخطاب المثير للوجدان في رد إبراهيم عليه السلام على قومه: { **وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ**

---

[1] يحيى هاشم حسن فرغل، **الأسس المنهجية لبناء العقيدة الإسلامية**، طبعة دار الفكر العربي، عام 1978، ص 398-399.

[2] هود، الآية : 25.

[3] الأحقاف الآية :21.

[4] الأعراف، الآية : 68.

بِالْأَمْنِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ }[1].

وفي سيرة سيدنا شعيب نقرأ الخطاب الموجه للوجدان في قوله تعالى: { **وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ** }[2].

ونقرأ الخطاب ذاته على لسان موسى عليه السلام قال تعالى: { **إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى** }[3].

ونقرأ نفس الخطاب في سيرة عيسى عليه السلام عندما طلب الحواريون إنزال مائدة من السماء، قال تعالى: { **قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنْ الْعَالَمِينَ** }[4].

وهذا ما فعله رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم عندما أنزل الله تعالى بطون قريش جميعها عليه:{ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ** }[5] فإنه صلى الله عليه و سلم قام على الصفا فعلى أعلاها حجرا ، ثم نادى ، فاجتمعوا إليه فقال لهم:" أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم ، أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا.
فقال: يا معشر قريش أنقدوا أنفسكم من النار فإني لا أغني عنكم من الله شيئا".

وبهذا الأسلوب ذاته نجده في عشرات الآيات ، قال تعالى: { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ** }[6].

وقوله تعالى: { **فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا** }[7].

وقوله تعالى: { **قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ** }[8].

---

[1] الأنعام : الآيتان : 80-82.

[2] هود، الآية : 89.

[3] طه، الآية : 48.

[4] المائدة، الآية : 115.

[5] المدثر، الآيتان : 1-2.

[6] الحج، الآيتان : 1-2.

[7] المزمل، الآيتان :17-18

[8] الأنعام، الآيتان : 16-17

وقوله: { **وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنْ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ** }[1].

كما أفاض القرآن في الدلائل العقلية والحسية وإبراز صفات الله بشتى أنواع الأدلة هاهو يعرج على نوع آخر هو بعث المشاعر والعواطف وتحريكها لتعود إلى خالقها ، فهو يربت عليها بكل ملطف ومنبه يمس شغاف القلوب باليد الرحيمة ، الودودة المنعمة ، وتارة أخرى يجذبها من نواصيها جذبا ويشهدها عاقبة المكذبين ومصارع الجاحدين ومآل المستكبرين يصور لهم الضنك والضيق يوم المحشر وأهوال يوم القيامة.

إن الإنسان محكوم إلى حد بعيد بقانون اللذة والألم قانون الخوف و الطمع قانون الرغبة والرهبة ، إذ أغلب سلوك البشر لا ينفك عنهما أو أحدهما ، وبناء على ذلك فلا عجب أن يخاطب العليم الخبير عباده ويدعوهم إلى حضرته سبحانه بكل طريق يوصلهم إلى معرفته.

1.7.2. الدعوة إلى الإيمان عن طريق عنصر الرغبة:

أولا ـ رغب الله تعالى في كتابه العزيز عباده في الإيمان به بأن بين لهم أن الإيمان هو سبيل العيش الرغيد والضمان الحياة السعيدة ، والمرء بطبعه يحب النفع العاجل ويؤثر أن يجني ثمرة إيمانه وفرة في الرزق وأمانا على المال والأهل والولد وسترا.

قال الله تعالى: { **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلْ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا** }[2].

{ **الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ**}[3].

{ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ** }[4].{ **وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلْ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ** }[1].

---

[1] الملك ، الآيات : 6-11

[2] نوح، الآيات 10-12

[3] هود، الآيات : 1-3

[4] الأعراف، الآية : 95.

ولما كانت الأرزاق والولدان نعما جليلة فإنها لا تتم إلا في جو الطمأنينة والأمن وغياب كل مظاهر الخوف عن النفوس أو الأموال لأجل ذلك قال القرآن الكريم: { **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا** }[2].

{ **وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمْ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** }[3].

{ **وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** }[4]. وقوله: { **أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ** }[5].

{ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** }[6].

وأعلمهم تبارك وتعالى أن الأمن بيده وحده ، وأن نجاحهم بيده كما تقربه فطرتهم ، قال جل شأنه:{ **قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنْ الشَّاكِرِينَ قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ** }[7].

ثانيا ـ دعا الله عباده إلى الإيمان به عن طريق ترغيبهم بالنعيم المقيم والمنازل العالية في الدار الآخرة ، وقد جاء وصف الجنان بصور رائعة تغري بالثمن المقرب إليها وهو الإيمان الصادق الخالص وما يستتبعه حتى صارت أمنية كل مؤمن.

---

[1] هود، الآية : 52.

[2] النور الآية : 55

[3] الأنفال ، الآية 26 .

[4] الأنعام، الآيتان : 81 – 82 .

[5] العنكبوت ،الآية : 67 .

[6] الانفال، الآية : 26 .

[7] الأنعام، الآيات : 63 – 65 .

قال جل شأنه: { **وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا** }[1].

وقوله: { **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ** }[2].

{ **عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا**}[3].

ثالثا ـ دعا الله عباده إلى الإيمان ورغبهم فيه بما يورثهم من فهم وبصيرة ؛ إذ كل واحد بحاجة إلى الهداية لتنقذه من المشكلات.

إن الضمير البشري الزكي لا يمكن أن يتألف بين حنايا الإنسان ويخلص بين متاهات الحياة ودسائس الأهواء وفتن الشياطين إلا إذا كان موصولا بالله يستلهمه الرشد ، ويستمده منه العون ويستدره التوفيق.

قال الله تعالى: { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** }[4]. وقوله: { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** }[5]. وقوله: { **فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى** }[1].

---

[1] الإنسان، الآيات 21 – 22 .

[2] الرحمان ، الآيات : 46 ، 60 .

[3] الواقعة، الآيات : 15 – 26 .

[4] الحديد، الآية : 27 .

[5] الأنفال، الآية : 29 .

{ **وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ** }[2]. وقوله: { **أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ**}[3]. وقوله: { **أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** }[4].

رابعا ـ إثارة الاعتراف في النفوس ليولي الأمر سبحانه وتعالى وترك الجحود للنعم المتتالية ؛ فهو الخالق من العدم واهب الشمس والقمر والبحار والحيوان والنبات ، مدبر أمر الإنسان ومسخر كل ما في هذا العالم لخدمته .

قال تعالى: { **قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِي وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ** }[5].

{ **أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** }[6].

{ **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** }[1].

---

[1] طه، الآية : 123 .

[2] النور، الآية : 40 .

[3] الزمر، الآية : 22

[4] الأنعام، الآية : 122 .

[5] الشعراء ، الآيات : 75 – 82 .

[6] النمل، الآيات : 60–63

{ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ**
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ
أَفَلَا تُبْصِرُونَ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }[2].

{ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ**
لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ
اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ }[3].

7.2.2. الدعوة إلى الإيمان عن طريق إثارة الرهبة في النفوس:

إن النفوس البشرية تقاد عن طريق الرغبة كما تقاد عن طريق الرهبة ، فكما يطمع الإنسان في نوال المرغوب فإنه وعلى نفس القدر يخشى المهالك والمخاطر ، لذلك توجه خطاب القرآن إلى الإنسان من هذا المنفذ.

أولا. إثارة الرهبة بسلب النعمة:

يبين القرآن شؤم الكفر وضرره على صاحبه بزوال نعم الله في الدنيا ، وذلك بعرض نماذج تاريخية من قصص الأنبياء مع أقوامهم كقوله تعالى: { **كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ**
كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ }[4].

{ **لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ**
وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ
مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ }[1].

---

[1] النحل، الآية : 78

[2] القصص، الآيايت : 71-73

[3] إبراهيم، الآيات :32-34

[4] الدخان، الآيات : 25-27

{ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ }[2].

كما لا يفوتنا أن نذكر أن الله تعالى قد يستدرج أفراد أو أمما إلى مصيرهم الفاجع بكثرة النعم ، قال عز وجل: **{ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ }**[3].

وقوله تعالى: **{ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ}**[4].

2.2. إثارة الرهبة بالأضرار الآجلة:

{ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }[5].

وقد قص القرآن الكريم عدة نماذج من إهلاك المشركين السالفين للعظة والعبرة ، قال تعالى:**{ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }**[6].

وقال عز وجل:**{ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا }**[7].

{ أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمْ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمْ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ }[1].

---

[1] سبأ، الآيات : 15-17

[2] النحل، الآية : 112

[3] التوبة، الآية : 85

[4] آل عمران، الآية 196.

[5] السجدة، الآية : 21.

[6] الروم، الآية :9

[7] فاطر، الآية : 44

3.2. إثارة الرهبة بذكر مآل الكافرين في جهنم ، وما فيها من عذاب شديد ومهانة بالغة[2]:

وقد أكثر القرآن من إيراد هذا النوع بالتحذير من الكفر والجحود ، من ذلك قوله تعالى:{ **فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا** }[3].

وكذلك قوله تعالى: { **قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قُلْ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي**
فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ
الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ }[4].

وقوله:{ **وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ تَكَادُ**
تَمَيَّزُ مِنْ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا
مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ
فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ }[5].

8.2 - مسالك التقرب: ورد عدد كبير من النصوص الشرعية يفيد بأن التقرب إلى الله تعالى بفعل الصالحات يورث في النفس طمأنينة وهدى وفرقانا يميز به الإنسان بين الحق والباطل ويخرج به من ظلمة الشبهات والشكوك ، قال تعالى:{ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** }[6].

إن هذه الآية واضحة الدلالة في أن الذين راضوا نفوسهم وجاهدوا من أجل تخليتها من الصفات المذمومة وتجميلها بالصفات المحمودة ، وأتعبوا أبدانهم تقربا إلى ربهم الكريم فإن الله تعالى سيفتح لهم أبواب رحمته وهدايته ، بل إنه سيكون معهم دائما طالما كانوا محسنين ، يقول سيد قطب رحمه الله تعليقا على هذه الآية: "الذين جاهدوا في الله ليصلوا إليه ، ويتصلوا به ، الذين احتملوا فلم ينكصوا ولم ييأسوا ، الذين صبروا على فتنة النفس وعلى فتنة الناس الذين

---

[1] غافر، الآية : 21-22

[2] انظر تفصيلا لهذه الفكرة: عبد المجيد النجار ، الإيمان بالله وأثره ص" 65/64 ، ويحي هاشم حسن فرغل ، مداخل إلى العقيدة الإسلامية ، ص: 289 وما بعدها ، وسامي نصر لطف ، نماذج من الحكمة الدينية للمسلمين ، ص: 58

[3] المزمل: آيات: 17/16

[4] الزمر: آيات: 15/14

[5] الملك: الآيات 6-11 ،

[6] العنكبوت، الآية : 69

حملوا أعبائهم ، وساروا في ذلك الطريق الطويل الشاق الغريب ، أولئك لن يتركهم الله وحدهم ، ولن يضيع إيمانهم ولن ينسى جهادهم ، إنه سينظر إليهم من عليائه فيرضاهم ، وسينظر إلى جهادهم إليه فيهديهم ، وسينظر إلى محاولتهم الوصول فيأخذ بأيديهم ، وسينظر إلى صبرهم وإحسانهم فيجازيهم خير الجزاء"[1].

وفي آية أخرى يقول الحق تبارك وتعالى:{ **قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** }[2].

وكذلك قوله تعالى:{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا** }[3].

يقول سيد قطب رحمه الله:" إنها حقيقة: أن تقوى الله تجعل في القلب فرقانا يكشف له منعرجات الطريق... إن الأمور تظل متشابكة في الحس والعقل ، والطرق تظل متشابكة في النظر والفكر، والباطل يظل متلبسا بالحق عند مفارق الطريق ، وتظل الحجة تفحم لكن لا تقنع ، وتسكت ولكن لا يستجيب لها الطريق ، وتظل الحجة تفحم لكن لا تقنع وتسكت ولكن لا يستجيب لها القلب والعقل ، ويظل الجدل عبثا والمناقشة جهدا ضائعا ، ذلك ما لم تكن هي التقوى ... فإذا كانت استنار العقل ، ووضح الحق وتكشف الطريق، وإطمأن القلب ، واستراح الضمير ، واستقرت القدم وثبتت على الطريق"[4].

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ، ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ، ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ، ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار"[5].

إن هذه النصوص وغيرها تؤكد على المعنى الذي ذكرناه ، بل تحدد أعمالا خاصة تورث القائم بها المعرفة الحقة التي تصل به حد الاطمئنان ، قال تعالى:{ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** }[6].

يقول سيد رحمه الله:" الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، تطمئن بإحساسها بالصلة بـــــــــــــــالله والأنس بجواره والأمن في جنابه وفي حماه تطمئن من قلق الوحدة وحيرة الطريق ،

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج5، ص 2752.

[2] المائدة، الآيتان : 17-18.

[3] الأنفال، الآية : 29

[4] سيد قطب ، منخلال القرآن ج 3 ، ص : 1499 .

[5] رواه الإمام البخاري و الإمام مسلم .

[6] الرعد ، البية : 29 .

بإدراك الحكمة في الخلق والمبدأ والمصير ، وتطمئن بالشعور بالحماية من كل اعتداء ومن كل ضرر ومن كل شر ، إلا بما يشاء ، مع الرضى بالابتلاء و الصبر على البلاء ، وتطمئن برحمته في الهداية والرزق و الستر في الدنيا و الآخرة "[1].

وقد شرع لنا المولى و تبارك و تعالى أن ندعوه بأسمائه الحسنى ، وهي باب من أبواب التعرف عليه ، فقال جل شأنه:{ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** }[2].

ويقول الرسول الكريم صلى الله عليه و سلم فيما يرويه عنه أبو هريرة رضي الله عنه:" إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة"[3]. أي: من حفظها ، وفهم معانيها ومدلولها ، وأثنى على الله بها ، وسأله بها ، واعتقدها"[4].

ويرى الغزالي أن معنى:" أحصاها "هو التخلق بها ، والتحلي بمعانيها"[5].

ويبين الأستاذ طه عبد الرحمان أن الذاكر للأسماء الحسنى يفتح الله تعالى له باب التعرف عليها هبة منه تعالى لا كسبا من الإنسان إذ يقول:" وينتج عن هذا أن الذاكرة لما كان يلتمس استكمال الأخلاق بالنوافل وكانت حقيقته الأخلاق أنها تجارب وخبرات لا مجرد أفكار وتصورات ، فإن معاني الأسماء تأتيه وحقائقها تظهر له في التجارب الحية لا في الأفكار المجردة ، وبهذا يكون التقرب بالذكر تجربة حية و تجربة إحسان ، حيث إن سبب تعرف الذاكر على معاني الأسماء هو تعرفها ذاتها له ، هبة من الله لا تعرفه هو عليها كسبا منه" [6].

بل إن ذكر الله تعالى يفتح للعبد آفاقا أخرى نترك للحديث الشريف بيانها: " أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني في نفسه ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، و إن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ، وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا ، وإن تقرب إليَّ ذارعا تقربت إليه باعا ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة"[7]. وكذلك النوافل تورث في النفس زيادة اليقين ، ومحبة الله تعالى.

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي:" وللمحافظة على الصلوات بقالبها وروحها ، والإكثار من النوافل تأثير لا يعرف لغيرها في صفاء النفس ، و السمو الروحي و الاتصال بعالم القدس ، وتلقي التجليات الأخروية لذلك جاء في الحديث:" ما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا (وأشار إلى القمر) لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل

---

[1] سيد قطب في ظلال القرآن ، ج : 4 ، ص 2060 .

[2] الأعراف ، الآية : 180 .

[3] رواه التجاري و مسلم .

[4] سعيد بن وهف القحطاني، شرح أسماء الله الحسنى، ط1 .بيروت : دار الكتب العملية، 2001، ص : 5 .

[5] أبو حامد الغزالي، المقصد الأسنى، طبعة مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (ت ، ص) 24 .

[6] طه عبد الرحمان،العمل الديني وتجديد العقل، ط 2. الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، 1997 ، ص 171 .

[7] أخرجه مسلم في كتاب الذكر و البخاري، كتاب التوحيد .

طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ، ثم قال:"سبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ، ثم قال:" **وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**"[1].

والنوافل والإكثار منها سبب كبير في تقوية محبة الله تعالى وجلب رحمته واصطفائه ، لذلك أشار النبي صلى الله عليه و سلم على من طلب منه المرافقة في الجنة بتكثير النوافل وكثرة السجود"[2].

وهكذا يظهر لنا أن هذا الطريق لا يقل أهمية عن النظر العقلي في الأنفس والآفاق تعريفا للخلق بخالقهم ، وتصديقا به ، وسعيا لطلب مرضاته سبحانه وتعالى ، وإقامة علاقة معه قوامها العبودية التامة له والخضوع لأمره ومحبته جل جلاله.

---

[1] رواه البخاري و مسلم و اللفظ للبخاري .

[2] أبو الحسن الندوي، الأركان الأربعة، ط 1 . دمشق : دار القلم ، 1999 ، ص : 79 .